اذا شئت ان يناجيني قرات كتابه واذا شئت ان اناجيه صليت وقيل لبعض الحكماء الى اي شي افضى بهم الزهد والخلوة فقال الى الانس بالله وقال سفيان بن عيينة لقيت ابراهيم بن ادهم في بلاد الشام فقلت له يا ابراهيم تركت خراسان فقال ما تهنات بالعيش الا ههنا افر بديني من شاهق الى شاهق فمن يراني يقول موسوس او حمال او ملاح وقيل لغزوان الرقاشي هبك لا تضحك فما يمنعك من مجالسة اخوانك قال اني اصبت راحة قلبي في مجالسة من عنده حاجتي وقيل للحسن يا ابا سعيد ههنا رجل لم نره قط الا جالسا وحده خلف سارية فقال الحسن اذا رايتموه فاخبروني به فنظروا اليه ذات يوم فقالوا للحسن هذا الرجل الذي اخبرناك به واشاروا اليه فمضى اليه الحسن وقال له يا عبد الله اراك قد حببت اليك العزلة فما يمنعك من مجالسة الناس فقال امر شغلني عن الناس فقال فما يمنعك ان تاتي هذا الرجل الذي يقال له الحسن فتجلس اليه فقال امر شغلني عن الناس وعن الحسن فقال له وما ذلك الشغل يرحمك الله فقال اني اصبح وامسي بين نعمة وذنب فرايت ان اشغل نفسي بشكر الله على النعمة والاستغفار من الذنب فقال له الحسن انت يا عبد الله افقه عندي من الحسن فالزم ما انت عليه وقيل بينما اويس القرني جالس اذ اتاه هرم بن حيان فقال له اويس ما جاء بك قال جئت لانس بك فقال اويس ما كنت ارى احدا يعرف ربه فيانس بغيره وقال الفضيل اذا رايت الليل مقبلا فرحت به وقلت اخلو بربي واذا رايت الصبح ادركني استرجعت كراهية لقاء الناس وان يجيء من يشغلني عن ربي وقال عبد الواحد بن زيد طوبى لمن عاش في الدنيا وعاش في الاخرة قيل له وكيف ذلك قال يناجي الله في الدنيا ويجاوره في الاخرة وقال ذو النون المصري سرور المؤمن ولذته في الخلوة بمناجاة ربه وقال مالك بن دينار من لم يانس بمحادثة الله عن محادثة المخلوقين فقد قل علمه وعمي قلبه وضيع عمره وقال ابن المبارك ما احسن حال من انقطع الى الله تعالى ويروى عن بعض الصالحين انه قال بينما انا اسير في بعض بلاد الشام اذا انا بعابد خارج من بعض تلك الجبال فلما نظر الي تنحى الى اصل شجرة وتستر بها فقلت سبحان الله تبخل علي بالنظر اليك فقال يا هذا اني اقمت في هذا الجبل دهرا طويلا اعالج قلبي في الصبر عن الدنيا واهلها فطال في ذلك تعبي وفني فيه عمري فسالت الله ان يجعل حظي من ايامي في مجاهدة قلبي فسكنه الله عن الاضطراب والف الوحدة والانفراد فلما نظرت اليك خفت ان اقع في الامر الاول فاليك عني فاني اعوذ من شرك برب العارفين وحبيب القانتين ثم صاح واغماه من طول المكث في الدنيا ثم حول وجهه عني ثم نفض يديه وقال اليك عني يا دنيا لغيري فتزيني واهلك فغري ثم قال سبحان من اذاق قلوب العارفين من لذة الخدمة وحلاوة الانقطاع اليه ما الهى قلوبهم عن ذكر الجنان وعن الحور الحسان فاذا في الخلوة انس بذكر الله واستكثار من معرفة الله

وفي ذلك

وفي ذلك قيل

واني لاستغشي وما بي غشية ... لعل خيالا منك يلقى خياليا

واخرج من بين الجلوس لعلني ... احدث عنك النفس بالسر خاليا

ولذلك قال بعض العلماء انما يستوحش الانسان من نفسه لخلو ذاته عن الفضيلة فيكثر حينئذ ملاقاة الناس ويطرد الوحشة عن نفسه فاذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على الفكرة ويستخرج العلم والحكمة وقد قيل الاستيناس بالناس من علامات الافلاس فاذا هذه فائدة جزيلة ولكن في حق بعض الخواص ومن تيسر له بدوام الذكر الانس بالله او بدوام الفكر التحقق في معرفة الله فالتجرد له افضل من كل ما يتعلق بالمخالطة فان غاية العبادات وثمرة المعاملات ان يموت الانسان محبا لله عارفا بالله ولا محبة الا بالانس الحاصل بدوام الذكر ولا معرفة الا بدوام الفكر وفراغ القلب شرط كل واحد منهما ولا فراغ مع المخالطة

الفائدة الثانية

التخلص بالعزلة عن المعاصي التي يتعرض الانسان لها غالبا بالمخالطة ويسلم منها بالخلوة وهي اربعة الغيبة والريا والسكوت عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الاخلاق الردية والاعمال الخبيثة التي يوجبها الحرص على الدنيا اما الغيبة فاذا عرفت في كتاب افات اللسان من ربع المهلكات وجوهها عرفت ان التحرز عنها مع المخالطة عظيم لا ينجو منها الا الصديقون فان عادة الناس كافة التمضمض باعراض الناس والتفكه بها والتنقل بحلاوتها فهي طعمتهم ولذتهم واليها يستروحون من وحشتهم في الخلوة فان خالطتهم ووافقتهم اثمت وتعرضت لسخط الله تعالى وان سكت كنت شريكا والمستمع احد المغتابين وان انكرت ابغضوك وتركوا ذلك المغتاب واغتابوك فازدادوا غيبة الى الغيبة وربما زادوا على الغيبة وانتهوا الى الاستخفاف والشتم واما الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من اصول الدين وهو واجب كما سياتي بيانه في اخر هذا الربع ومن خالط الناس فلا يخلو عن مشاهدة المنكرات فان سكت عصى الله به وان انكر تعرض لانواع من الضرر وربما يجره طلب الخلاص منه الى معاص هي اكبر مما نهى عنه ابتداء وفي العزلة خلاص عنه فان الامر في اهماله شديد والقيام به شاق وقد قام ابو بكر خطيبا وقال ايها الناس انكم تقرؤون هذه الاية يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وانكم تضعونها في غير مواضعها واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا راى الناس المنكر فلم يغيروه اوشك ان يعمهم الله بعقاب وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله ليسال العبد حتى يقول ما منعك اذ رايت المنكر في الدنيا ان تنكره فاذا لقن الله عبدا حجته قال يا رب رجوتك وخفت الناس وهذا اذا خاف من ضرب او امر لا يطاق ومعرفة حدود ذلك مشكل وفيه خطر وفي العزلة خلاص وفي الامر بالمعروف اثارة للخصومات وتحريك الغوائل